

خطبة بعنوان: البركات في اغتنام مواسم الطاعات

بتاريخ : 1 ذو الحجة 1440هـ - 2 أغسطس 2019م

عناصر الخطبة:

العنصر الأول: خصوصية أمة محمد بنفحات وبركات

العنصر الثاني: فضائل وخصائص عشر ذي الحجة

العنصر الثالث: الوصايا العشر في اغتنام العشر

المقدمة:

أما بعد:

العنصر الأول: خصوصية أمة محمد بنفحات وبركات

عباد الله: من فضل الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن جعل لهم مواسم للطاعات تتضاعف فيها الحسنات، وترفع فيها الدرجات، ويغفر فيها كثير من المعاصي والسيئات، فالسعيد من اغتنم هذه الأوقات وتعرض لهذه النفحات، ومن هذه النفحات العشر الأوائل من ذي الحجة، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيام يعني أيام العشر ، قالوا : يا رسول الله ، ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله ، فلم يرجع من ذلك بشيء . "، لهذا حثنا صلى الله عليه وسلم على اغتنام هذه النفحات حيث قال: " أفعلوا الخيرَ دهرَكُمْ، وتعرضوا لِنَفْحَاتِ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلَّهِ نَفْحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلَوَا اللَّهُ أَنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ، وَأَنْ يُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ " (أخرجه ابن أبي الدنيا والطبراني بسند صحيح) ، ولو نظرنا إلى أعمار الأمم السابقة لوجدنا أنهم كانوا يعيشون المئات بل الآلاف من السنين، فهذا نوح عليه السلام لبث في قومه 950 سنة، قال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } (العنكبوت: 14)، فلو قارنت عمرك وحسبت صلاتك وصومك وركاتك وجميع أعمالك في عمرك الذي يتراوح بين الستين والسبعين، كما قال صلى الله عليه وسلم: " أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك " (ابن ماجه والبيهقي والترمذي والحاكم وصححه) فكم تكون أعمالك بين هذه الأعمار المديدة؟؟!! وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم بذلك، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطَوَّلَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ . "، فالله زاد الأمم الماضية بسطة في الجسم والعمر، وما زال الخلق يقصر طولاً وعرضاً وعمراً حتى الآن، لذلك خص الله هذه الأمة بنفحات تتمثل في أوقات قليلة تشمل فضائل ورحمات غزيرة حتى تلحق هذه الأمة غيرها من الأمم في الأجر والفضل والثواب.

ومن ذلك كثرة الأجر مع قلة العمل وقصر الوقت: فقد أخرج البخاري عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " مثلكم ومثل أهل الكتابين ، كمثل رجل استأجر أجراً ، فقال : مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ عُدْوَةٍ إِلَى نَصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِرَاطٍ ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نَصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِرَاطٍ ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِرَاطَيْنِ ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ ، فَعَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ! فَقَالُوا : مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا وَأَقَلَّ عَطَاءً ؟ قَالَ : هَلْ نَقَصْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ . " ، فمضاعفة الأجر مع قلة العمل وقصر الوقت، خصوصية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن هذه النفحات - أيضاً- ليلة القدر فهي خير من ألف شهر: قال الله عز وجل: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ } (القدر : 1-3). قال ابن كثير في تفسيره عن مجاهد: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، قال: فَعَجِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُورَةَ الْقَدْرِ تَبَيَّنَ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ 83 سنة التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر؛ فما بالك لو صادفتك ليلة القدر عشرين سنة مثلاً!!

ومنها صيام يوم عرفه ويوم عاشوراء: فصيام يوم عرفة يكفر ذنوب سنتين؛ وصيام يوم عاشوراء يكفر ذنوب سنة؛ وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: "صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ؛ وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ." (مسلم).

يقول ابن حجر: "وظاهره أن صيام يوم عرفة أفضل من صيام يوم عاشوراء، وقد قيل في الحكمة في ذلك إن يوم عاشوراء منسوب إلى موسى عليه السلام ويوم عرفة منسوب إلى نبي هذه الأمة فلذلك كان أفضل." (فتح الباري)؛ وكأنه خصوصية لأمة محمد صلى الله عليه وسلم. ومنها: صلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه.

كل هذه النفحات جعلت أمة محمد صلى الله عليه وسلم - مع قصر أعمارها - تسبق جميع الأمم السابقة يوم القيامة، مع أنهم قبلنا في الدنيا؛ كما بشرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا"، فمع أن اليهود والنصارى قبلنا في الدنيا إلا أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم قبلهم وسابقة لهم في البعث والحساب ودخول الجنة كما صرح بذلك رواية الإمام مسلم حيث قال صلى الله عليه وسلم: "نحن الآخرون الأولون يوم القيامة؛ ونحن أول من يدخل الجنة؛ بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناهم من بعدهم." . أقول: لو أنك وضعت طعاماً في إناء وأردت أن تغرف منه؛ فإن آخر الطعام وضع هو أول طعام عُرف، والله المثل الأعلى، وهناك أمثلة كثيرة لمضاعفة الأجر لا يتسع المقام لذكرها، وأنت بذلك خبير في معرفة بقية الأمثلة من الكتاب والسنة.

أيها الإخوة المسلمون: إن من أعظم نفحات أمة محمد صلى الله عليه وسلم على الإطلاق (عشر ذي الحجة) فيها نحن نعيش في هذه الأيام مواسم الخيرات والطاعات التي أكرمنا بها رب الأرض والسموات، وهذه هبات ربانية لا تكون إلا للأمة المحمدية؛ أمة العمل القليل والأجر الكبير والفضل العظيم، لتحمد الله أن جعلك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم:

ومما زادني فخراً وتبهاً وكدت بأخصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

فالحمد لله الذي أنعم على الأمة المحمدية بمواسم الطاعات وميادين الخيرات، وساحات المغفرة والرحمات، حيث يتسابقون فيها إلى رضوانه، ويتنافسون فيما يقربهم من فضله وإحسانه، وهذه المواسم منحة ومنة من الله تعالى على عباده؛ لأن العمل فيها قليل والأجر والثواب جزيل، وهي والله فرصة عظيمة لا يحرم خيرها إلا محروم، ولا يغتنمها إلا من وفقه الله.

العنصر الثاني: خصائص وفضائل عشر ذي الحجة

أحبتني في الله: أيام العشر هذه حُصِّت بفضائل وخصائص جعلتها أفضل أيام الدنيا؛ ولقد ذكر العلماء عدة أسباب وفضائل وخصائص لهذه العشر جمعتها لكم مدعمة بالأدلة الصحيحة الصريحة من القرآن والسنة وتتمثل فيما يلي:-

أولاً: أن الله تعالى أقسم بها:

وإذا أقسم الله بشيء دل هذا على عظم مكانته وفضله، إذ العظيم لا يقسم إلا بالعظيم، قال تعالى: { وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ }، والليالي العشر هي عشر ذي الحجة، وهذا ما عليه جمهور المفسرين، وكما قال بذلك ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي ومقاتل ومسروق، وغير واحد من السلف والخلف.

ثانياً: أنها الأيام المعلومات التي شرع فيها ذكره:

قال تعالى: { وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ } (الحج: 28)، وجمهور العلماء على أن الأيام المعلومات التي يستحب فيها الإكثار من ذكر الله تعالى هي عشر ذي الحجة، منهم ابن عمر وابن عباس.

ثالثاً: شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها بأنها أفضل أيام الدنيا:

فعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أفضل أيام الدنيا أيام العشر - يعني عشر ذي الحجة - قيل: ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: ولا مثلهن في سبيل الله إلا رجل عفر وجهه بالتراب" (أخرجه البزار وابن حبان بسند حسن)، ولذلك فإن العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى منه في بقية العام، قال ابن كثير: "وبالجملة.. فهذه العشر أفضل أيام السنة كما نطق به الحديث، وفضلها كثير على عشر رمضان الأخيرة؛ لأن هذا يشرع فيه ما يشرع في ذلك من صلاة وصيام وصدقة وغيره، ويمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه."، وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : أيهما أفضل: عشر ذي الحجة أم العشر الأواخر من رمضان؟ فأجاب: أيام العشر من ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة . قال ابن القيم . رحمه الله: وإذا تأمل الفاضل اللبيب هذا الجواب وجده شافياً كافياً، فإنه ليس من أيام العمل فيها أحب إلى الله من أيام عشر ذي الحجة وفيها يوم عرفة ويوم النحر ويوم التروية، أما ليالي عشر رمضان فهي ليالي الإحياء التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيئها كلها وفيها ليلة خير من ألف شهر، ونخلص من ذلك: أن أيام العشر من ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان لاشتغالها على يوم عرفة ويوم النحر ويوم التروية، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة لاشتغالها على ليلة القدر.

رابعاً: أنها من جملة أربعين موسى عليه السلام :

وهي العشر المذكورة في قوله تعالى: { وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً } (الأعراف: 142) ، قال ابن كثير : " الأكثرون على أن الثلاثين هي: ذو القعدة وعشر ذي الحجة، قال بذلك مجاهد، ومسروق، وابن عباس وابن جريج، وغيرهم. وعن جابر رضي الله عنه قال: { وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ } قال: عشر الأضحى. وعن مجاهد قال: ما من عمل من أيام السنة أفضل منه في العشر من ذي الحجة، قال: وهي العشر التي أتمها الله عز وجل لموسى عليه السلام."

خامساً: أنها ضمن أيام الأشهر الحرم:

ومعنى كلمة حرم أي أن هذه الأشهر الحرم لها حرمة ومكانة وقداسة وعظمة عند الله، لذلك تضاعف فيها الحسنات كما تضاعف فيها السيئات، لحرمة هذه الأشهر، فيجب على المسلم تعظيم الحرمات في هذه الأشهر الحرم. يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - " لا تظلموا فيهن أنفسكم بارتكاب الذنوب، لأن الله سبحانه إذا عظم شيئاً من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة، وإذا عظمه من جهتين أو جهات صارت حرمة متعددة فيضاعف فيه العقاب بالعمل السيئ كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح، فإن من أطاع الله في الشهر الحرام في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام، ومن أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في شهر حلال في بلد حلال" ، وقد أشار تعالى إلى هذا بقوله تعالى: { يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا } (الأحزاب: 30) ؛ وذلك لأن الفاحشة إذا وقعت من إحدى نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - يضاعف لها العذاب ضعفين بخلاف ما إذا وقعت من غيرهن من النساء. " أ.هـ

سادساً: أن الله أكمل فيها الدين وأتم علينا النعمة:

ففي يوم عرفه كمل الدين ونزل قوله تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } (المائدة : 3) ، وقد جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرءون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال: وأي آية؟ قال قوله: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي } فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، نزلت عشية عرفة في يوم الجمعة. وكان الله جعل عيد الفطر لبداية نزول القرآن في رمضان، وعيد الأضحى لإكمال الدين في فريضة الحج، فكان نزول القرآن بدايةً ونهايةً مقروناً بفريضتين عظيمتين هما: (الصيام والحج) وعيدين سعيدين هما: (الفطر والأضحى).

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: "والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة؛ لمكان اجتماع أمهات العبادة فيها وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتأتى ذلك في غيرها." وقال الإمام أبو حنيفة: جعلت أفضل بين العبادات؛ كلما تتبعت عبادة وجدت لها أفضلية؛ فأقول: هي الأفضل؛ فلما تتبعت الحج وجدته أفضلهم لاشتماله على جميع العبادات كلها. وصورة ذلك: أنك حينما تتكلم عن الصلاة تتكلم عنها منفردة؛ وحينما تتكلم عن الزكاة تتكلم عنها منفردة؛ وهكذا بقية العبادات والطاعات؛ عدا فريضة الحج فإنك حينما تتكلم عنها تجمع معها كل العبادات؛ فموسم الحج يجمع كل فضائل هذه العبادات لاجتماعها فيه دون غيرها !!

العنصر الثالث: الوصايا العشر في اغتنام العشر

أيها المسلمون: هناك عشر وصايا أحببت أن أهديكم إياها في هذه العشر حتى نغتنمها ونكون من الفائزين فيها وتمثل فيما يلي:

أولاً: التوبة الصادقة : فعلى المسلم أن يستقبل مواسم الطاعات عامة بالتوبة الصادقة والعزم الأكيد على الرجوع إلى الله، ففي التوبة فلاح للعبد في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور:31].

ثانياً: إصلاح ذات البين: فعلى كل مسلم متخاصم أو متشاحن مع أخيه المسلم؛ أن يبادر بإصلاح ذات البين حتى ترفع الأعمال؛ لذلك أخبرنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحاديث كثيرة أن الشحناء والبغضاء والخصام سبب لمنع المغفرة والرحمات، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " تَفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُعْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحَا". (مسلم)

وبين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الخصام والشحناء يخلق الحسنات بل الدين كله فقال: " دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَّةِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَخْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَخْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَالِكُمْ لَكُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ " [أحمد والبيهقي والترمذي]

فبادر أنت بالخير إذا عرض عنك أخوك وكن أنت الأخير ، فعَنْ أَبِي أُيُوبَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَا يَجِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَحَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ" (متفق عليه)

ثالثاً: العزم الجاد على اغتنام هذه الأيام : فينبغي على المسلم أن يحرص حرصاً شديداً على عمارة هذه الأيام بالأعمال والأقوال الصالحة، ومن عزم على شيء أعانه الله وهياً له الأسباب التي تعينه على إكمال العمل، ومن صدق الله صدقه الله، قال تعالى: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } . (العنكبوت: 69) .

رابعاً: البعد عن المعاصي: فكما أن الطاعات أسباب الود القرب من الله تعالى؛ فالمعاصي سبب البعد والطرده ، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إِنَّ اللَّهَ يَعَارُ وَغَيْرُهُ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ." (متفق عليه) .

كما أن ارتكاب المعاصي في هذا الشهر الحرام ظلم للنفس ؛ قال ابن كثير في تفسيره: " نهى الله تعالى عن الظلم في الأشهر الحرم، وإن كان في جميع السنة منهياً عنه، إلا أنه في الأشهر الحرم أكد؛ ولهذا قال: { مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ } [التوبة: 36]، وقال في الحرم: { وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ } [الحج: 25] . أ.هـ

خامساً: المحافظة على الصلاة : وهي من أجل الأعمال وأعظمها وأكثرها فضلاً، ولهذا يجب على المسلم المحافظة عليها في أوقاتها مع الجماعة، وعليه أن يكثر من النوافل في هذه الأيام، فإنها من أفضل القربات، وبها تنال محبة رب الأرض والسموات؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: " وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ " . [البخاري] .

سادساً: التكبير والتحميد والتهليل والذكر: فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد) [أحمد]. وقال البخاري " كان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرها. وقال: وكان عمر يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً. وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه، وفي فسطاطه ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعاً". أ.هـ

سابعاً: الصدقة: وهي من جملة الأعمال الصالحة التي يستحب للمسلم الإكثار منها في هذه الأيام، وقد حث الله عليها فقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [البقرة:254]، وقال صلى الله عليه وسلم: " مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ. " [مسلم].

ثامناً: صيام التسع ومنها يوم عرفة: فالصيام يدخل في جنس الأعمال الصالحة، بل هو من أفضلها، وقد أضافه الله إلى نفسه لعظم شأنه وعلو قدره، فقال سبحانه في الحديث القدسي: " كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ . " [متفق عليه]. وعليه فيسن للمسلم أن يصوم تسع ذي الحجة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم حث على العمل الصالح فيها؛ وقد ذهب إلى استحباب صيام العشر الإمام النووي وقال: صيامها مستحب استحباباً شديداً.

وقد روي عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: " كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر. " (أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم)، وأجاب العلماء عن حديث عائشة: " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَصُمْ الْعَشْرَ " (مسلم)، بأنه إذا تعارض مثبت ومنفي قدم المثبت على المنفي، فلو قال أحدُ رأيت المحافظ في السوق، وقال آخر: كنت في السوق ولم أره ، قدم المثبت على المنفي.

وكذلك يسن صيام يوم عرفة يوم الحج الأكبر، ويوم مغفرة الذنوب، ويوم العتق من النيران، ولو لم يكن في عشر ذي الحجة إلا يوم عرفة لكفاها ذلك فضلاً، وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل يوم عرفة وصيامه وهدى النبي صلى الله عليه وسلم فيه، منها ما روي عائشة . رضي الله عنها . أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء " (مسلم)، وقد ذكرنا في عنصرنا الأول أن صيام يوم عرفة يكفر ذنوب سنتين.

تاسعاً: الأضحية: وهي من أفضل أعمال يوم النحر ، وهي سنة مؤكدة ؛ بل أوجبها الإمام أبو حنيفة على القادر؛ وهذا كله لفضلها ومكانتها في التراحم والتكافل؛ فعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما عمل ابن آدم من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم، وإنه ليؤتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع بالأرض فيطيبوا بها نفساً " (أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه)، ويستحب للمضحى أن يمسك عن شعره وأظفاره لما روى مسلم عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره " ولعل ذلك تشبهاً بمن يسوق الهدى، فقد قال الله تعالى: { وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ } (البقرة : 196)، وهذا النهي يخص صاحب الأضحية ولا يعم الزوجة ولا الأولاد؛ إلا إذا كان لأحدهم أضحية تخصه، وإذا نوى الأضحية أثناء العشر أمسك عن ذلك من حين نيته ولا أثم عليه فيما أخذه قبل النية.

أيها المسلمون: لقد أكد الشارع الحكيم على سعادة وفرحة الفقراء في العيدين الكريمين وإدخال السرور عليهم ؛ ففي عيد الفطر فرضت زكاة الفطر طعمة للفقراء والمساكين وإغناء لهم عن السؤال في هذا اليوم ؛ فعن ابن عباس قال: " فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - زَكَاةَ الْفِطْرِ طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ. " (أبو داود وابن ماجه).

وتكريماً للفقير وإعلاءً من شأنه أنه أوجب عليه زكاة الفطر كالغني تماماً؛ لأنها تجب على من عنده قوت يكفيه يوم وليلة العيد؛ وهو بلا شك يجتمع عنده زكوات الحي كله؛ فأصبحت واجبة عليه كالغني تماماً؛ فيخرجها لأخيه الفقير؛ فإذا كان الفقير يمد يده طوال العام أخذاً؛ فقد رفع الإسلام شأنه أن يمد يده في هذا اليوم معطياً لا أخذاً؛ لتكتمل فرحة وسعادة وبهجة العيد في قلبه وقلب أولاده!! وفي عيد الأضحى شرعت الأضحية وأصبحت سنة مؤكدة؛ ومن الفقهاء من أوجبها على القادر لأهميتها وفضلها؛ لما فيها من إغناء وإطعام للفقراء وإدخال البهجة والسرور عليهم في هذا اليوم؛ فإن فيهم من لا يأكل هذا اللحم من العام إلى العام؛ وهذا تنفيذ لأمر الله المكرر والمؤكد في القرآن؛ حيث قال المولى - جل في علاه - عن الأضاحي: { فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا النَّبِيَّ الْفَقِيرَ } (الحج: 28). وقال: { فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ } (الحج: 36).

وإذا كان الإسلام رفع شأن الفقير أن يدفع زكاة الفطر تكريماً له؛ فقد رفع شأنه في أخذه الأضحية؛ حيث يستوي هو والغني تماماً في الأخذ من الأضحية؛ فكرم الفقير معطياً كالغني في عيد الفطر؛ وأخذاً كالغني أيضاً في عيد الأضحى!! بل إن هناك جمعيات خيرية؛ ورجال أعمال يذبحون أضاحي عن الفقراء من أهل الحي عندهم؛ وهذه كلها مبادئ إسلامية رفيعة؛ فيها البر والإحسان والتآلف والتراحم؛ وكلها مظاهر من التكريم والفرحة والبهجة وإدخال السرور على الفقراء والمساكين في العيدين الكريمين؛ فما أجمل هذا الدين الحنيف!!

عاشراً: صدق النية مع الله: فعن أبي كبشة الأنماري - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ويعمل لله فيه بحقه فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية ويقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يتخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعمل فيه بحق فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو ونيته فوزرهما سواء" (الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح)، فنية العبد خيرٌ من عمله، فقد يحج ولا يقبل منه لسوء نيته، وقد لا يحج ويكتب له أجر حجة وعمرة تامتين تامتين لصدق نيته، لذلك جاء أول حديث في البخاري "إنما الأعمال بالنيات". فإذا كان الحج قد فاتك فإن أفعال الخير لا تفوتك فتلحق بركب الحجيج، وما أجمل مقولة أحد السلف: "من فاته في هذا العام القيام بعرفة فليقم لله بحقه الذي عرّفه، ومن عجز عن المبيت بمزدلفة، فليبيت عزمه على طاعة الله وقد قرّبه وأزلفه، ومن لم يقدر على نحر هديه بمنى فليذبح هواه هنا وقد بلغ المنى، ومن لم يصل إلى البيت لأنه منه بعيد فليقصد رب البيت فإنه أقرب إليه من جبل الوريد".

وهناك أعمال أخرى يستحب الإكثار منها في هذه الأيام بالإضافة إلى ما ذكر، نذكر منها على وجه التذكير ما يلي:
قراءة القرآن وتعلمه. والاستغفار. وبر الوالدين. وصلة الأرحام والأقارب. وإفشاء السلام وإطعام الطعام. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وحفظ اللسان والفرج. والإحسان إلى الجيران. وإكرام الضيف. والإنفاق في سبيل الله. وإماطة الأذى عن الطريق. وكفالة الأيتام. وزيارة المرضى. وقضاء الحوائج. وعدم إيذاء المسلمين. والرفق بالرعية. وصلة أصدقاء الوالدين. وأداء الأمانات والوفاء بالعهد. وإغاثة الملهوف. وغض البصر عن محارم الله. وإسباغ الوضوء. والدعاء بين الأذان والإقامة. وقراءة سورة الكهف يوم الجمعة. والحرص على صلاة العيد في المصلى. والحرص على الكسب الحلال. وإدخال السرور على المسلمين. والتعاون مع المسلمين فيما فيه خير. فاحرص أخي المسلم على اغتنام هذه الأيام بالطاعات، وأحسن استقبالها والعمل فيها قبل أن تفوتك فتندم، ولات ساعة مندم.

رزقنا الله وإياكم حج بيته الحرام.

كتبه: **خادم الدعوة الإسلامية**

الرجاء.....
وأتم الصلاة،،،،،

د / خالد بدير بدوي